... وإنّ حُبّكَ في إيماننا نَسَبٌ...

وفي سياق الحديث عن عصمة الله لروح الوجود محمد ﷺ من أذىٰ الناس نتوقّف عند بعض الآيات القرآنية والتي تدور في هذا الفلك، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ورحم الله القاضي عياض، فقد نقل لنا كثيراً من الحكايات في هذا المضمار، منها:

أن رجلاً اسمه دُعثور بن الحارث صمم علىٰ اغتيال النبي ﷺ، لكن قومه فوجئوا بأن عاد إليهم وقد أعلن إسلامه!.

فسألوه عن ذلك وقالوا له: أين ما كنتَ تقول، وقد أمكنك؟.

فقال: إني نظرت إلىٰ رجلٍ أبيضٍ طويل دفع صدري، فوقعتُ لظهري، وسقط السيف من يدي، فعرفتُ أنه مَلَك، وأسلمتُ!.

وفيه نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

ومثلها ما ذكره ابن إسحاق: أن زوجة أبي لهب ـ وهي التي أطلق عليها

القرآن لقب حمّالة الحطب ـ لما بلغها نزول سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١ ـ ٥]. وذمّ زوجها.. وذمّها أيضاً، أتت رسول الله ﷺ وهو جالسٌ في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه، وفي يدها فهرٌ[1] من حجارة.

فلما وقفت عليهما لم تر إلاّ أبا بكر، وأخذ الله تعالىٰ ببصرها عن نبيّه ﷺ، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني، والله! لو وجدتُهُ لضربتُ بهذا الفهر فاه!![2]

أجل يا روح الوجود يا رسول الله!

لقد خلقك الله واصطفاك وعصمك من الأذىٰ، لتكون الرحمة المهداة صلوات الله عليك:

وإن حبّـك فـي إيمـاننـا نسـبٌ ... من دونه النفس والأموال والولدُ
فبـالـذي أجـزل النّعمىٰ عليكَ إلىٰ ... يـوم المعـاد فـلا نقـصٌ ولا بـددُ
أجـزل علـيّ بـرؤيـا منـك تُنعشني ... وتنقـذ القلـب منـي فهـو مضطهـدُ
واشفع إلى الله في إحسان خاتمتي ... فـإننـي بـك بعـد الله أعتضـدُ

* * *

(١) هو: الحجر ملء الكفّ.
(٢) مستدرك الحاكم: ٢/ ٣٦١.